سيرة ابن هشام
الجزء الرابع
صفحة 239 - 267

أدْماً كثيراً، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لىَ الأرض لدخلت فيها فَرِقا منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننتُ أنك تكره هذا ما سألتُكَه ، قال : أتسألني أن أعطيك رسولَ رجلٍ يأتيه الناموسُ الأكبرُ الذي كان يأتى موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها المَلك ، أكذلك هو؟ قال : ويحك يا عمرو أطعنى واتبعْه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظْهرنَّ على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعونَ وجنودِه ، قال : قلت : فأتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأى عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامى.

عمرو وخالد يجتمعان على الإسلام : ثم خرجتُ عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت ، خالدَ بن الوليد، وذلك قبل الفتح ، وهو مُقبل من مكة، فقلت :أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المَنْسِمُ[1] ، وإن الرجلَ لنبى، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى؟ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله اصلى الله عليه وسلم، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أبايعك على أن يُغْفَر لى ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو، بايعْ ، فإن الإسلام

---

[1] المنسم : هناك من رواه الميسم بالياء، فهي العلامة، أي قد تبين الأمر واستقامت الدلالة، أما المنسم بفتح الميم وبالنون ، فمعناه : استقام الطريق ووجبت الهجرة، والمنسم مقدم خف البعير، وكني به عن الطريق للتوجيه به فيها.

يَجُبُّ[2] ما كان قبله ، وإنالهجرة تَجُبَّ ما كان قبلها؛ قال: فبايعته ، ثم .انصرفت[3]

قال ابنهشام: ويقال: فإن الإسلام يَحُتُّ[4] ما كان قبلـه ، وإنالهجـرة تَحُت ما كان قبلها.

إسلام عثمان بن طلحة : قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة بن أبى طلحة، كان معهما، حين أسلما.

ما قاله ابن الزبعرى في إسلام عثمان بن طلحة وخالد:

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبَعْرى السَّهْمى:

أنشُدُ عثمانَبنَ طلحةَ حِلفَنـا ومُلْقَىنِعالِ القومِ عندَ المُقَبلِ[5]
وما عَقدَالآباءُ منكلِّ حِلْفِـه وما خالدٌ من مثلِها بمُحَلل
أمِفتاحَ بيتٍ غيرِبيتك تبتغي وما يُبتَغَى منمجدِ بيتٍ مُؤثَل
فلا تأمَننْ خالداً بعدَ هــذه وعثمانُجاء بالدُّهَيْم المُعَضَّلِ[6]

وكانفتح بني قريظة في ذيالقَعدة وصدر ذيالحِجة، وولـىتلـك الحجـةَ المشركون

---

[2] يجب:يقطع .

[3] وزاد الزبير في خبر عمرو هذا: أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة صحبهما في تلك الطريق ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قال عمرو: وكنت أسن منهما، فأردت
أن أكيدهما، فقدمتهما قبلي للبيعة، فبايعا، واشترطا أن يغفر من ذنبهما ما تقدم ، فأضمرت في نفسي أن أبايع لا على أن يغفر الله من ذنبى ما تقدم وما تأخر، فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبى وأنسيت أن أقول وما تأخر.

[4] يحت : يسقط .

[5] المقبل : اسم مكان من قبل ويريد به الحجر الأسود.

[6] الدهيم : الداهية .

" بسم الله الرحمن الرحيم "

غزوة بني لِحْيان

خروجه صلى الله عليه وسلم إليهم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهرَيْ ربيع ، وخرج في جُمادَى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قُريظة، إلى بني لحيان يطلب بأصحابِ الرَّجيع : خُبَيْب بن عَدِى وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غِرة.

استعماله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على المدينة : فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

الطريق التي سلكها صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : فسلك على غُرَاب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مَحيص ، ،ثم على البَتْراء، ثم صَفَّق[7] ذات اليسار، فخرج على بِين ، ثم على صُخَيْرات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجَّة من طريق مكة فأغَذ[8] السير سريعا، حتى نزل على غُرَان ، وهي منازل بني لحْيان ، وغَرَان وادٍ بين أمَج وعُسْفان ؛ إلى بلد يقال له : سَايَة، فوجدهم قد حَذِروا وتمنَّعوا في رءوس الجبال فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غِرِّتهم ما أراد، قال : لو أنا هبطنا عُسفان لرأى أهلُ مكة أنا قد جئنا مكة، فخرج في مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان ،

---

[7] صفق : عدل .

[8] أغذ : أسرع .

ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُراع الغَمِيم ، ثم كرَّ وراح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قافلا.

دعاء العودة : فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعا: آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وَعْثاء السفر[9] وكآبة[10] المنقَلب ، وسوءِ المنظر في الأهلَ والمال

ما قاله كعب بن مالك في غزوة بني لحيان : والحديث في غزوة بني لحيان ؛ عن عاصم بن عُمر بن قَتادة، وعبد الله بن أبى بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان :

لو أن بني لِحْيان كانوا تناظروا لَقُوا عُصباً في دارِهم ذاتَ مَصْدَقِ[11]

لقُوا سَرَعانا يملأ السَّرْبَ رَوْعُه أمامَ طَحُون كالمجَرَّةِ فَيْلَقِ[12]

ولكنهم كانوا وباراً تتبَّعَتْ شِعابَ حِجازٍ غير ذي مُتَنَفقِ

---

[9] وعثاء السفر:شدته .

[10] الكآبة : الحزن

[11] تناظروا: انتظروا. العصب : الجماعات . .

[12] سرعان الناس : سباقهم ، وهم من يتقدمون الجيش . السرب : المال الراعى، كأنه جمع سارب ، ويقال : هو آمن في سربه إذا لم يذعر، ولا خاف على ماله من الغارة،

ومن قال في سربه بكسر السين ، فهو مثل ، لأن السرب هو القطيع من الوحش والطير، فمعنى : آمن في سربه ، أي لم يذعر هو نفسه ولا ذعر أهله ، ولهذا المعنى أشار

من قال من أهل اللغة : معنى في سربه " أي: في نفسه لم

يرد أن النفس يقال

لها: سرب وإنما أراد أنه لم يذعر هو ولا من معه ، لا كالآخر الذي تقدم ذكره ،

وقيل فيه آمن في سربه بفتح السين ، فكأن الواحد آمن في ماله ، والآخر آمن في نفسه ، ويقال : في سربه ، أي في طريقه أيضاً. الطحون : الكتيبة الضخمة. المجرة : مجموعة من النجوم صغار متلاصقة . الفيلق : فيعل من الفلق وهى الداهية، وكأنها

تفلق القلوب ، وهى الفلقة أيضا.

غزوة ذي قَرَد[13]

ثم قَدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينِـةَ؛ فلـم يقـم بهـا إلا ليالِيَ قلائلَ ، حتى أغار عُيينة بن حِصْن بن حذيفة بن بـدر الفَـزاري ؛ فـي خيل من غَطفان على لِقاحٍ[14] لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابـة . وفيها رجل من بني غِفارٍ وامرأةٌ له ، فقتلوا الرجلَ واحتملوا المرأةَ في اللِّقاح .

شجاعة ابن الأكوع في هـذه الغـزوة : قـال ابـن إسـحاق : فحـدثني عاصم بن عُمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكـر، ومـن لا أتهـم ، عـن عبـد الله بن كعب بن مالك ، كُل قد حدَّث في غزوة ذي قَـرَد بعـض الحـديث : أنه كان أولَ من نَذَر[15] بهم سلمةُ بن عمـرو بـن الأكـوع الأسـلمى[16] ، غـدا يريد الغابةَ متوشِّحا قوسَه ونَبْله ، ومعه غلام لطلحـة ابـن عبـد اللـه معـه فـرس لـه يقـوده ، حـتى إذا علا ثنيـة الـوداع نظـر إلـى بعـض خيـولهم ، فأشرف في ناحية سَلْع ، ثم صرخ : واصَبَاحاه ، ثم خـرج يشـتدُّ فـي آثـار القوم ، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردُّهم بالنَّبْل ، ويقـول إذا رَمى : خذها وأنا ابن الأكْوع ، اليوم يـوم الرُّضَّـع ، فـإذا وُجِّهـت الخيـل نحوَه انطلق هاربا، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرَّمْىُ

---

[13] ويقال فيه : قرد بضمتين، هكذا ألفيته مقيداً عن أبى على، والقرد في اللغة الصوف الرديء ، يقال في مثل : عثرت على الغزل بآخرة فلم تدع بنجـد قردة. عن الروض الأنف للسهيلى - من تحقيقنا.

[14] اللقاح : الإبل الحوامل .

[15] نذر: علم .

[16] واسم الأكوع : سنان .

رمى، ثم قال : خذها وأنا ابن الأكـوع ، اليـوم يـوم الرضـع[17] ، قـال : فيقول قاتلهم : أوَيْكعنا هو أول النهار.

تسابق الفرسان : قال : وبلـغ رسـولَ اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم صياحُ ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة : الفزعَ الفـزعَ ، فـترامت الخيـولُ إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأبطال يتلاحقون : وكان أول من انتهى إلى رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم من الفرسان : المِقْداد بن عَمرو، وهو الذي يقال له المقــداد بن الأسود، حليف بني زُهرة، ثم كان أول فارس وقف علـى رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم، بعد المِقْداد من الأنصار، عَبَّاد بـن بشـر بـن وَقـش بن زُغبة بن زَعُورَاء، أحد بني عبد الأشْهَل ، وسعد بن زيد، أحد بني كعــب بن عبد الأشْهل ،

وأسَيْد بن ظُهَيْر، أخو بني حارثة بن الحـارث ، يُشـك فيـه ، وعُكَّاشـة ابن مِحْصن ، أخو بني أسد بن خزيمة، ومُحْرِز بن نَضْلة، أخو بني أسد بـن خُزَيمة، وأبو قتَادة الحارث بن رِبْعِي ، أخو بني سَلَمة، وأبـو عَيَّـاش ، وهـو عُبَيد بن زيد بن الصامت ؛ أخو بني زُرَيْق فلما اجتمعـوا إلـى رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم أمَّر عليهم سـعدَ بـن زيـد، فيمـا بلغنـى، ثـم قـال : أخرج في طلب القوم ، حتى ألحقك في النـاس . وقـد قـال رسـول اللـه اصلى الله عليه وسلم، فيما بلغني عن رجال من بني زُرَيْق ، لأبي عَيَّـاش : يا أبا عياش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلا، هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عياش : فقلت : يا رسول الله أنـا أفـرسُ النـاس ، ثـم ضـربت الفرس . فوالله ما جرى بي خمسين ذراعـا حـتى طرحنـي ، فعجبـت أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقـول : لـو أعطيتَـه أفـرسَ منـك ، أنـا أقول : أنا أفرسُ الناس ، فزعـم رجـالٌ مـن بنـي زُرَيـق أن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم أعطي فرس أبي عياش معاذ بن مـاعص ، أو عائـذ بن ماعص

[17] اليوم يوم الرضع : يريد يوم اللئام ، أي يجبنهم .

ابن قيس بن خلدة، وكان ثامنا، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو ابن الأكوع أحد الثمانية، ويطرح أَسَيْد بن ظُهَيْر، أخا بني حارثة، والله أعلم أي ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارسا، وقد كان أول من لحق . بالقوم على رجليه فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا .

سبق محرز بن نضلة ومقتله : قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم ابن عمرو بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم مُحْرِز بن نَضلَة، أخو بني أسد بن خزيمة - وكان يقال لمحْرز: الأخرم ، ويقال له قُمير - وأن الفزع لما كان ، جال فرس لمحمود بن مَسْلمة في الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صَنِيعاً جَامًّا، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل ، حين رأين الفرس يجول في الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه : يا قُمَيْر، هل لك في أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما ترى، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأَعْطَينه إياه ، فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذَّ الخيلَ بجمامه ، حتى أدرك القومَ ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا يا معشر بني اللكيعة[18] حتى يلحق بكم مَن وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرسُ ، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرِيَّةٍ[19] من بني عبد الأشهل فلم يُقتل من المسلمين غيره .

مقتل وقاص بن مجزز: قال ابن هشام : وقُتل يومئذ من المسلمين مع محرز، وقَّاص بن مُجَزِّز المُدلجيُّ ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم .

---

[18] اللكيعة : اللئيمة.

[19] يقصد بالآرية هنا الموضع الذي يربط به الفرس .

أفراس المسلمين : قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمــود: ذا اللُّمة. قال ابن هشام : وكان اسم فـرس سـعد بـن زيـد: لاحـق ، واسـم فرس المقداد: بعزجة، ويقال : سبحة، واسم فرس عُكَّاشة بن مِحْصـن : ذو اللُّمة، واسم فرس أبي قتادة : حَزْوَة، وفرس عَبَّـاد بـن بشـر: لمـاع ، وفرس أسَيْد بن ظُهَيْر. مسنون ، وفرس أبي عَيَّاش جُلْوَة[20] .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ من لا أتهم عن عبـد اللـه بـن كعـب ابن مالك : أن مُجَززاً إنما كان على فرس لعكاشة بن مِحْصن ، يقـال لـه الجناح ، فقُتل مُجزز واستُلبت الجَناح .

قتلى المشركين : ولما تلاحقت الخيـل قَتـل أبـو قتـادة الحـارثُ بـن رِبْعي ، أخو بني سلمة : حبيب بن عُيينـة بـن حِصْـن ، وغَشَـاه بُـرْدَه ، ثـم لحق بالناس . وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين .

استعماله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على المدينة: قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم . قـال ابـن إسـحاق : فـإذا حبيب مُسَجَّى ببُرد أبى قتادة، فاسترجع

---

[20] البعزجة : شدة جري في مغالبة، كأنه منحوت من بعج إذا شق ، وعز، أي غلب وأما سبحة فمن سبح إذا علا علـوا فـي اتسـاع ومنـه : سـبحان اللـه ، وسبحان الله، عظمته وعلوه لأن الناظر المفكر فـي اللـه سـبحانه يسـبح فـي بحر لا ساحل لـه ، وأمـا حـزوة، فمـن حـزوت اليـر إذا زجرتهـا، أو مـن حـزوت الشيء إذا أظهرته ، قال الشاعر:

ترى الأمعز المحزو فيه كأنه من الحر واستقباله الشمس مسطح

وجلوة: من جلوت السيف ، وجلوت العروس ، كأنها تجلو الغم عـن قلـب صاحبها. ومسنون من سننت الحديدة إذا صقلتها. (الروض الأنف بتحقيقنا ج 4 ص 15).

الناس وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل لأبي قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحدة ، فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به وأقام عليه يوماً وليله ، وقال له سلمة بن عمرو بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرحتني في مائة رجل ،لاستنقذت بقية السرح ،وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا بلغني :إنهم الآن ليغبقون[21] في غطفان .

تقسيم الفيء بين المسلمين : فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة رجل جزوراً ، وأقاموا عليها ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً حتى قدم المدينة .

لا نذر في معصية : وأقبلت امرأة الغفاري[22] على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت لله أن أنحرها إن نجاني الله عليها ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها !إنه لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين[23] ، إنما هي ناقة من إبلي ، فارجعي إلى أهلك على بركة الله .

---

[21] الغبق : شرب اللبن بالعشي .

[22] اسمها : ليلى .

[23] يقول صلى الله عليه وسلم :لا نذر لأحد فيما لا يملك ولا طلاق لأحد فيما لا يملك ، و لا عتق لأحد فيما لا يملك وهو حديث مروي من طريق عبد الله بن عمرو ومن طريق أبي هريرة،ولكنه لم يُخرَّج في الصحيحين لعلل في أسانيده ،وقد قال بهذا الحديث أن لا طلاق قبل نكاح جماعة من الصحابة وفقهاء التابعين ، وفقهاء الأمصار. وسواء عندهم عين امرأة، أو لم يعين ، وإليه مال البخارى رحمه الله . ورواه ابن كنانة عن مالك ، وابن وهب واحتج ابن عباس في هذه المسألة بقوله تعالى : [illegible]

والحديث عن امرأة الغفاري وما قالت ، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أبي الزبير المكى، عن الحسن بن أبي الحسن البصري .

ما قاله حسان في غزوة ذي قرد: وكان مما قيل من الشعر في يوم ذى قرد قول حسان بن ثابت

لولا الذي لاقتْ ومس نسورها بجَنوب سايةَ أمسِ في الثّقْـــ
لَلَقيْنَكم يحملنَ كلَّ مُدَجَّــجٍ حامي الحقيقةِ ماجد الأجدادِ
وَلسَرَّ أولادَ اللقيطةِ أننــا سِلْمٌ غَداةَ فوارس المِقْدادِ
كنا ثمانيةً وكانوا جَحْفَــلاً لَجِبــاً فشُــكّوا بالرمــاحِ بَــدَادِ[25]

---

[24] الضمير في لاقت وما بعدها للخيل ، والنسر كالنواة في باطن الحافر وفي الفرس عشرون عضواً، كل عضو منها يسمَّى باسم طائر، النسر والنعامة والهامة والسمامة والسعدانة، وهي الحمامة، والقطاة والذباب والعصفور والغراب والمرد والصقر والحرب والناهض، وهو فرخ العقاب ، والخطاب . . . الخ . . . وساية: اسم موضع .

[25] بداد: من التبدد، وهو التفرق ، وهو في موضع نصب غير أنه مبني ونصبه كانتصاب المصدر، إذا قلت : مشيت القهقرى، وقعدت القرفصاء، وكأنه قال : طعنوا الطعنة التي

يقا لها بداد، وبداد مثل فجار من قوله : احتملت فجار، جعلوه اسماً علماً للمصدر،

كما قالوا: فعلت برة علماً للبر، وسر هذه العلمية في هذا الموطن أنهم أرادوا الفعل الأتم الذي يسمى باسم ذلك الفعل حقيقة، فقد يقول الإنسان بر فلان وفجر أي قارب أن يفعل ذلك أو فعل منه بعضه ، فإذا قال : فعلت برة، فإنما يريد البر الذي يسمى برا على الحقيقة، فجاء بالاسم العلم الذي هو عبارة عن مسماه حقيقة، إذ لا يتصور هذا الضرب من المجاز في الأعلام ، وكذلك أراد الفجور على الحقيقة وأراد رفع المجاز سماه ، فجاز تحقيقاً للمعنى، أي : مثل هذه الفعلة ينبغي أن تسمى باسم الفجور حقيقة، وكذلك قالوا في النداء: يا فساق ويا فسق فجاءوا بالصيغة المعروفة، العلمية المعروفة مع النداء خاصة، أي : إن هذا الاسم ينبغي أن يكون اسمه

الذي يدعى به ، إذا الاسم العلم ألزم لمسماه من اسم مشتق من فعل فعله ، لأن

الفعل لا يثبت ، والاسم العلم يثبت ، فهذا هو مغزاهم في هذه الأسماء التي هي

على صيغ الأعلام في هذه المواطن . (وانظر الروض الأنف للإمام السهيلي - بتحقيقنا).

كنا من القوم الذين يلُونَهــم ويُقَدِّمون عِنانَ كلِّ جَوادِ
كلا وربِّ الراقصات إلي مِنى يقطعْنَ عُرْضَ مَخارمِ الأطْوادِ[26]
حتى نُبيلَ الخيلَ في عَرَصاتِكم ونَؤُوبُ بالملَكاتِ والأولادِ[27]
رَهْواً بكلِّ مُقَلَّصٍ وطِمِــرةٍ في كلِّ مُعْترِكٍ عَطَفْنَ روادي[28]

أفنى دوابرَها ولاحَ مُتونَهــا يوم تُقادُ به ويومُ طِرادِ
فكذاك إنَّ جيادَنا مَلْبونَــة والحــربُ مُشْــعَلةٌ بريــحِ غَــوادِ[29]
وسيوفُنا بيضُ الحدائدِ تجتلى جُنَنَ الحديدِ وهامَةَ المرتادِ[30]
أخذَ الإلهُ عليهمُ لحَرامِــه ولعزَّةِ الرحمنِ بالأسْداد
كانوا بدارٍ ناعمين فبُدلــوا أيامَ ذي قَرَدٍ وُجوهَ عِبادِ

قال ابن هشام : فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد، وحلــف أن لا يكلمه أبدا، قال : انطلق إلى خيلى وفوارسـى فجعلهـا للمقـداد! فاعتـذر إليه حسان وقال : والله ما ذاك أردت ، ولكن الروي وافق اسـم المقـداد وقال أبياتا يرضى بها سعداً:

---

[26] الراقصـات : الإبـل . والرقـص للإبـل : نـوع مـن المشـي . المُحـارم : الطريق . الأطواد: الجبال .

[27] نُبيل الخيل : نجعلها تبول .

[28] الرهو: أي مشياً بسكون وتؤدة، ويقال لمستنقع المـاء أيضـاً الرهـو، والرهو مـن أسـماء الكركـى . المقلـص : المشـمر. طمـرة : فرسـة سـريعة. روادى: أي تردي بفرسانها، أي : تسرع .

[29] ملبونة: تسقى اللبن .

[30] تجتلي : تقطع . الجنن : الأسلحة والمرتاد: المحارب .

إذا أردتم الأشدَّ الجلدا أو ذا غناء فعليكم سَعْدَا
سعدَ بنَ زيد لا يُهد هَدَّا

فلم يقبل منه سعد ولم يغن شيئا.

وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد:

أظَنَّ عُيَيْنَةُ إذ زارهـا بأن سوفَ يَهدمُ فيها قصورَا
فاكْذِبْتَ ما كنتَ صَدَّقتَـه وقلتم سنَغْنَم أمراً كبيرَا
فَعِفْتَ المدينةَ إذ زرتَهـا وآنستَ للأسْدِ فيها زئيرَا
فولَّوْا سِراعاً كشدِّ النعـامِ ولم يكشفوا عن مُلِطّ حصيرَا[31]
أمير علينا رسولُ المليك أحْبب بذاك إلينا أميرَا
رسولٌ نصدق ما جـاءه ويتلو كتاباً مُضيئاً منيرَا

ما قاله كعب في يوم ذي قرد: وقـال كعـب بـن مالـك فـي يـوم ذي قَـرَد للفوارس :

أتحسَبُ أولادُ اللقيطة أننـــا على الخيلِ لسنا مثلَهم في الفوارسِ
و إنا أناس لا نرى القتلَ سُبَّـةً ولا ننثنــى عنــدَ الرمــاحِ المَــداعِس[32]
و إنا لَنَقْري الضيفَ من قَمَعِ الذّرا ونضربُ رأسَ الأبْلَخِ المتشـــــــــــــــاوِس[33]
نرُدُّ كُماةَ المُعْلَمين إذا انتخَـــوْا بضربٍ يُسَلِّى نَخْوةَ المتقــــــــــــــــاعِسِ[34]

---

[31] ملط : من قولهم : ألطت الناقة بذنبها إذا وضعته بين فخذيها، حصيراً: يعنى بالحصير ما يكنف به حـول الإبـل مـن عيـدان الحظيـرة. ويريـد أنهـم لـم يستطيعوا الإغارة على العير ولم يكشفوا ما تستتر به .

[32] المداعس : المطاعن .

[33] قمع الذرا: أعالي الأسنمة. الأبلخ : المتعاظم . المتشـاوس : الجريـء في القتال .

[34] انتخوا: تكبروا. المتقاعس: الراكب رأسه .

بكلِّ فتًى حامى الحقيقة ماجــدٍ كريمٍ كسِرْحانِ الغَضاةِ مُخـــالسِ[35]
يذُوذُونَ عن أحسابِهم وتِلادِهـم ببيضٍ تَقُدُّ الهامَ تحتَ القَوَانِس
فسائِلْ بني بَدْرٍ إذا ما لَقِيتَهــم بما فعلَ الإخوانُ يومَ التَّمارُسِ
إذا ما خرجتم فَاصدُقوا من لَقِيتُمُ ولا تَكتموا أخبارَكم فَي المجـــالس
وقولوا زَلَلْنا عن مخالبِ خادرٍ به وَجَرفي الصدرِ مالم يُمارِسِ[36]

قال ابن هشام : أنشدني بيتَه : " وإنا لنقري الضيف" أبو زيد.
شعر شداد الجشمي لعيينة : قال ابن إسحاق : وقال شَدَّاد بن عارض الجُشَمِى، في يوم ذي قَرَد: لعُيَيْنَة بن حِصن ، وكان عيينة ابن حِصْن يُكني بأبي مالك :

فهلاَّ كرَرْتَ أبا مالــكٍ وخَيلُك مُدبِرةٌ تُقْتَلُ
ذكرتَ الإيابَ إلى عَسْجَر وهَيْهـاتَ قــد بَعُــدَ المُقْفَــلُ[37]
وطَمَّنْتَ نفسَك ذا مَيْعــةٍ مِسَحّ الفضاء إذا يُرْسَلُ[38]
إذا قَبَّضَتْه إليك الشمــا لُ جاش كما اضْطَرمَ المِرْجَلُ
فلما عَرَفتم عِبادَ الإلــ ـه ، لم يَنظر الآخرَ الأولُ
عَرَفتم فوارسَ قد عُـوِّدوا طِـرَادَ الكُمــاةِ إذا أسْــهَلوا[39]
إذا طَرَدُوا الخيلَ تَشْقَى بهم فضَاحا وإن يُطرَدوا ينْزِلوا
فيعتصمُوا في سواءِ المُقـا مِ بالبيضِ أخْلَصها الصَّيْقَلُ

---

[35] السرحان : الذئب . وغضاة: جمعها غضا: شجر خشبة من أصلب الخشب وجمره شديد الإلهاب ؟ ويقال ذئب الغضاة مثل يضرب في الخداع والاحتيال .
[36] الخادر: الأسد الذي يلازم الخدر وهو بيته . الوجر: الحقد.
[37] عسجر: موضع بمكة .
[38] " ذا ميعة ": ذا نشاط . المسح : الكثير الجري .
[39] أسهلوا: نزلوا السهل .

غزوة بني المصطلق
في شعبان سنة ست

قال ابنُ إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعضَ جُمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بني المُصْطَلَق من خُزاعة[40] ، في شعبان سنة قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذَر الغِفاري ، ويقال : نُمَيْلة بن عبد الله الليثي .

سببها: قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قَتادة وعبد الله ابن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، كل قد حدثني بعضَ حديث بني المصْطَلَق ، قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصْطَلَق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار، أبو جُوَيْرِية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيَهم على ماء لهم يقال له : المُرَيْسيع[41] ، من ناحية قدَيْد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق ، وقُتل من قُتل منهم ، ونَفَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم ، فأفاءهم عليه .

استشهاد ابن صُبابة خطأ: وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من كَلْب بن عَوْف بن عامر بن لَيْث بن بكر، يقال له : هشام بن صُبَابة،

---

[40] وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة، فجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلق ، وهو رفع الصوت .

[41] المريسيع : وهو ماء لخزاعة، وهو من قولهم : رسعت عين الرجل : إذا دمعت من فساد.

أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبادة بن الصامت ، وهـو يـرى أنـه من العدو، فقتله خطأ.

ما وقع من الفتنة بين المهاجرين والأنصار: فبيْنَـا رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم على ذلـك المـاء، وردت واردة النـاس ، ومـع عمـر بـن الخطاب أجير له من بني غِفَار، يقال له : جَهْجَاه بن مسعود يقود فرسَه ، فازدحم جَهْجَاه وسِنان بن وَبَر[42] الجُهنى، حليـف بنـي عَـوْف بـن الخـزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجُهنى: يا معشر الأنصار، وصرخ جَهْجَـاه : يـا معشر المهاجرين[43] ، فغضب عبدُالله بن أبيّ ابـن سَـلول ، وعنـده رهـط من قومه فيهم : زيد بن أرقـم ، غلام حَـدَث ، فقـال : أَوَقَـدْ فعلوهـا، قـد نافرونا وكاثرونا في بلادِنا، والله ما أعدَّنا وجلابيب قريـش[44] إلا كمـا قـال الأول : سَمِّن كلبَك يأكلْك ، أما والله لئن رجعنا إلا المدينة ليُخْرِجَنَّ

---

[42] وقيل إنه : سنان بن تميم ، من جهينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار. انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج 3 ص 17 .

[43] وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما. قـال : دعوهـا فإنهـا منتنة، يعني : أنها كلمة خبيثة، لأنها من دعوى الجاهلية، وجعـل اللـه المـؤمنين إخوة وحزباً واحداً،

فإنما ينبغى أن تكون الدعوة يا للمسلمين ، فمن دعا في الإسلام بـدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أن يجلـد مـن اسـتجاب لهـا بالسلاح خمسين

سوطاً اقتداء بأبي موسى الأشعرى فـي جلـده النابغـة الجعـدى خمسـين سوطا حين سمع يا لَعامر، فأقبل يشـتد بعصـبة لـه . والقـول الثـاني : أن فيهـا الجلد دون العشرة لنهيه

عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا في حد، والقول الثالث : اجتهاد الإمام

في ذلك على حسـب مـا يـراه مـن سـد الذريعـة وإغلاق بـاب الشـر، إمـا بالوعيد، وإما بالسجن وإما بالجلد.

فإن قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاقب الرجليـن حيـن دعـوَا بها؟ قلنا: قد قال دعوها

فإنها منتنة، فقد أكد النهى، فمن عـاد إليهـا بعـد هـذا النهـى، وبعـد وصـف النبي صلى الله عليه وسلم لها بالإنتان وجب أن يؤدب ، حتى يشـم نتنهـا، كمـا فعل أبو موسى رحمه الله بالجعدي ،

فلا معنى لنتنها إلا سوء العاقبة فيها والعقوبة عليها. (عن الروض الأنف - بتحقيقنا).

[44] لفظ أطلقته قريش على المهاجرين .

الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادَكم ، وقاسمتموهم أموالَكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مُرْ به عَبَّاد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله اصلى الله عليه وسلم: فكيف يا عُمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا، ولكن أذن بالرحيل ، وذلك في ساعةٍ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، فارتحل الناس .

نفاق ابن أبَيّ : وقد مشى عبد الله بن أبى ابن سَلول إلى رسول الله اصلى الله عليه وسلم، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قال ، ولا تكلمتُ به . - وكان في قومه شريفاً عظيماً -، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسولَ الله ، عسى أن يكون الغلامُ قد أوْهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال ، حَدَباً على ابن أبَيّ ابن سلول ، ودَفْعاً عنه .

من أسباب نفاق ابن أبيّ : قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار، لقيه أسَيْد بن حُضَيْر، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ، والله لقد رحت في ساعة منكرة، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله قال : عبد الله بن أبي، قال : وما قال ؟ قال . زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ ، قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئتَ ، وهو والله الذليلُ وأنت العزيزُ، ثم قال : يا رسول الله ، ارفقْ به ، فوالله لقد جاءنا الله

بك ، وإن قومه لينظمـون لـه الخـرز ليتوجـوه ، فـإنه ليـرى أنـك قـد استلبته ملكا. انشغال الناس عن الفتنة: ثم مشى رسول الله صلى اللــه عليه وسلم بالناس يومَهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح ، وصــدرَ يومهم ذلك حتى آذتهم الشمسُ ، ثم نزل بالناس ، فلـم يلبثـوا أن وجـدوا مس الأرض فوقعوا نياما، وإنما فعل ذلـك رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أبي .

موت رفاعة بن زيد وتنبؤ الرسول بموته : ثم راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وسـلك الحجـاز حـتى نـزل علـى ماء بالحجاز فُوَيْق النقيع ، يقال له : بقعـاء. فلمـا راح رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم هبت على النـاس ريـح شـديدة آذتهـم وتخوفوهـا، فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوها، فإنما هبت لمـوت عظيـم من عظماء الكفار. فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت ، أحد بني قَيْنقاع وكان عظيما من عظماء اليهود، وكهفا للمنـافقين ، مـات في ذلك اليوم .

ما نزل في ابن أبي : ونزلت السورةُ التي ذكر اللـه فيهـا المنـافقين في ابن أبيّ ومن كان على مثلِ أمره ، فلما نزلت أخذ رسول اللــه صـلى الله عليه وسلم بإذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى اللــه بـإذنِه . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله الابن من أبيه : قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم ابن قتادة : أن عبد الله أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتلَ عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت لا بد فاعلا فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسَه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبـر بوالـده منـى، وإنـى أخشـى أن تـأمر بـه غيري

فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى في الناس ، فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا[45] .

وجعل بعـد ذلـك إذا أحـدث الحـدثَ كـان قـومُه هـم المـذين يعـاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم لعمـر بـن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيـف تـرى يـا عمـر؛ أمـا واللـه لـو قتلته يوم قلت أقتله ، لأرْعَدت له آنـف ، لـو أمرتهـا اليـومَ بقتلـه لقتلتـه ، قال عمر: قد والله علمتُ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظـم بركة من أمري .

مخادعة مقيس بن صبابة : قال ابن إسحاق : وقدم مِقْيَس بن صُبَابة من مكة مسلما، فيما يظهر، فقال : يا رسول الله ، جئتك مسلماً، وجئتك أطلب دية أخى، قُتل خطأ. فأمر له رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بدية أخيه هشام بن صُبَابة، فأقام عند رسول الله صلى الله عليـه وسـلم غير كثير، ثم عدا

---

[45] وفى هذا العلم العظيم والبرهان النير م ن أعلام النبوة، فإن العرب كانت أشد خلق الله حمية وتعصباً فبلغ الإيمان منهم ونور اليقيـن مـن قلـوبهم إلى أن يرغب الرجل منهم في قتل أبيه وولده ، تقربـاً إلـى اللـه ، وتزلفـاً إلـى رسوله ، مع أن الرسول - عليه السلام - أبعـد النـاس نسـباً منهـم ، ومـا تـأخر إسلام قومه وبنى عمه وسبق إلى الإيمان به الأباعد إلا لحكمـة عظيمـة، إذ لـو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به لقيل

قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له ، فلما بادر إليه الأباعـد، وقـاتلوا على حبه

من كان منهم أو من غيرهم ، علم أن ذلك عن بصـيرة صـادقة ويقيـن قـد تغلغل في قلوبهم ، ورهبة من الله أزالت صفة، قد كـانت ثبتـت ولزمـت - فـي نفوسهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالتها إلا الـذي فطـر الفطـرة الأولـى، وهو القادر على

ما يشاء، وأما عبد الله بن عبد الله فكان من كتاب النبي صـلى اللـه عليـه وسلم وكان اسمه حباب ، وبه كان يكنى أبوه ، فسماه رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم! عبدالله، مات شهيداً باليمامة رضي الله عنه .

[illegible]

عل قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدا، فقال في شعر يقوله :

شفى النفسَ أن مات بالقاع مُسْندا ثُضَرّج ثوبيه دماءُ الأخادع[46]
وكانت همومُ النفس من قبلِ قتلِه تلِمّ فتحْمينى وِطاء المضاجع
حللت به وِتْري وأدركتُ ثُؤْرَتي وكنت إلى الأوثانِ أولَ راجع
ثأرتُ به فهرا وحملت عَقْلَه سراةَ بني النجارِ أربابَ فارعِ[47]

وقال مِقْيَس بن صُبابة أيضا:

جلَّلته ضربةً بات لها وشَل من ناقعِ الجرْفِ يعلوه وَبَيْصُ رمُ
فقلتُ والموت تَغْشاه أسِرَّته لا تأمننَّ بني بكر إذا ظُلموا

شعار المسلمين : قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق : يا منصور، أمِتْ أمِتْ .

قتلى بني المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس ، وقَتل علي بن أبى طالب منهم رجلين ، مالكاً وابنَه ، وقَتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم ، يقال له : أحمر، أو أحَيْمر.

حديث جورية بنت الحارث رضي الله عنها: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سَبْياً كثيراً، فشا قسمُه في المسلمين ؟ وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جُوَيْرِية بنت الحارث بن أبي ضِرَار، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة ابن الزبير، عن عائشة، قالت : لما قَسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا

---

[46] الأخادع : يريد الأخدعان : وهما عرقان بالقفا.

[47] فارع : حصن كان لبنى النجار بالمدينة .

بني المصطلق وقعت جُوَيرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قَيْس ابن الشَّمَّاس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة مُلاَّحَة[48] ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها: وعرفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيت ، فدخلتْ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضِرار، سيد قومه وقد أص ابنى من البلاء، ما لم يخفَ عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسى، فجئتك أستعينك على كتابتى، قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضي عنك كتابتك وأتزوجك

قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلتُ[49] .

---

[48] الملاح أبلغ من المليح في كلام العرب ، وكذلك الوضاء أبلغ من الوضىء ، والكبار كذلك أبلغ من الكبير، غير أنه لا يوصف الباري سبحانه بهذا اللفظ ، فيقال فيه كبار بمعنى كبير، لأنه على بنية الجمع ، نحو ضراب وشهاد، فكان لفظ الكبير ونحوه

أبعد من الاشتراك ، وأدل على الوحدانية، والله أعلم . أما معنى: الملاحة، فذهب قوم

إلى أنها من الملحة وهى البياض ، تقول العرب : عنب ملاحى - والصحيح في المليح ،

أنه مستعار من قولهم : طعام مليح إذ كان فيه من الملح بقدر ما يصلحه ، ولذلك إذا بالغوا في المدح قالوا: مليح قزيح ، وقال الأصمعى: الحسن في العينين ، والجمال في الأنف، والملاحة في الفم .

[49] وكان نظره عليه السلام لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء، وأيضا إنما نظر إليها، لأنه نوى نكاحها كما نظر إلى المرأة التي قالت : إني قد وهبت لك نفسي يا رسول الله ، فصعَد فيها النظر ثم صوَّب ، ثم أنكحها من غيره ، وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها،

وقال للمغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : لو نظرت إليها، فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما، وقال مثل ذلك لمحمد بن مَسلمة حين أراد نكاح ثبيتة بنت الضحاك ، وقد

أجازه مالك في إحدى الروايتين عنه ، وفى مسند البزار من طريق أبى بكرة لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة "أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حرير، فكشفت عن وجهك ،

فقال : هذه امرأتك ، فقلت : إن يكن من عند الله يمضه . وهذا استدلال حسن. (عن الروض الأنف - بتحقيقنا). وراجع فهارسنا لفتح البارى المسماة مفاتيح القارى ط

عالم الكتب - بيروت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية

ابنة الحارث بن أبي ضِرار، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها. قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزوة

بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيْش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة، وأمره بالاحتفاظ بها، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضِرار بفداء ابنته ؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها، فغيبهما في شِعب من شِعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد، أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، في شِعْب كذا وكذا؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمد رسول الله فوالله ما اطَّلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، . وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ودُفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت ، وحسن إسلامها؛ فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها، فزوجه إياها، وأصدقها أربعمائة درهم . قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن رُومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعث إليهم بعد إسلامهم الوليدَ بن عقبة بن أبي مُعَيْط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأخبره أن القوم قد هَمُّوا بقتله ، ومنعوه ما قِبَلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم ، حتى هَم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم فبينا هم على ذلك قدم وفدُهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا، فخرجنا إليه لنُكْرِمَه ، ونؤدي إليه ما قِبَلنا من الصدقة، فانشمر[50] راجعاً. فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله، ووالله مما جئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى

فيه وفيهم :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ* وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ الله لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ الْأَمْرِ لَعَنِتُّم}.[الحجرات: 6،7] . . إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثني من لا أتهم عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، حتى إذا كان قريبا من المدينة، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا.

خبر الإفك في غزوة بني المصطلق

قال ابن اسحاق : حدثنا الزهري ، عن علقمة بن وَقاص ، وعن سعيد ابن جُبَيْر، وعن عروة بن الزبير، وعن عبيدالله بن عُتبة، قال : كل قد حدثني بعضَ هذا الحديث ، وبعضُ القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدثني القومُ .

---

[50] انشمر: أسرع.

مَنْ كان يسافر معه من نسائه : قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه ، عن عائشة وعبد الله ابن أبي بكر، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة، عن نفسها، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدثُ بعضُهم ما لم يحدِّث صاحبُه ، وكل كان عنها ثقة، فكلُّهم حدث عنها ما سمع

قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائِه ، كما كان يصنعُ ، فخرج سهمي عليهنَّ معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سقوط عقد عائشة وتخلفها للبحث عنه : قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَق[51] لم يهجهن اللحم فيثقلن[52] ، وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القومُ الذين يُرَحِّلون لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهودج فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجَّه قافلا، حتى

إذا كان قريبا من المدينة فنزل منزلا، فبات به بعض الليل ، ثم أذَّن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ، وفى عنقى

---

[51] العُلق : جمع علقة: ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية.

[52] التهيج : انتفاخ في الجسم قد يكون من سمن ؟ وقد يكون من آفة، قال الأصمعى : هجمت على حي من العرب بواد خصيب وإذا ألوانهم مصفرة ووجوههم مهيجة، فقلت لهم : ما بالكم ؟ واديكم أخصب واد، وأنتم لا تشبهون المخاصب . فقال لي شيخ منهم : إن بلدنا ليست له ريح ، يريد: أن الجبال أحاطت به فلا تذهب الرياح وباءه ولا رمده.

عقد لي ، فيه جَزْع ظَفَار[53] ، فلما فرغتُ انسلَّ من عنقـي ولا أدري ، فلما رَجَعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقـى، فلـم أجـده ، وقـد أخـذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى، الذين كان يرحِّلون لى البعير، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودَجَ ، وهم يظنون أنى فيـه ، ثـم أخـذوا بـرأس البعيـر، فانطلقوا بـه ، فرجعـت إلـى العسـكر ومـا فيـه مـن دَاعٍ ولا مجيـب ، قـد انطلق الناس .

صفوان بن المعطل يعثر على عائشة : قالت : فتلففت بجلبابى، ثم اضطجعت في مكاني . وعرفـت أن لـو قـد افُتقـدت لرُجـع إلـىَّ، قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صـفوان بـن المُعَطَّـل السُّـلَمي ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته[54] ، فلم يبت مع النـاس ، فـرأى سوادي ، فأقبل حتى وقف علىَّ، وقـد كـان يرانـى قبـل أن يُضْـرَب علينـا الحجابُ ، فلما رآنى قال : إنا للّهِ وإنا إليه راجعـون ، ظعينـة رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم وأنا متلففة في ثيابى، قال : ما خلَّفك يرحمك اللـه ؟ قالت :

---

[53] الجزع : الخرز. ظفار: مدينة باليمن ينسب إليها هذا الخرز.

[54] وهو صفوان بن ربيضة بن خزاعي بن محارب بن مـرة بـن ذكـوان بـن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمى الذكوانى ، يكنى أبا عمـرو، وكـان يكـون علـى ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حـتى يـأتيهم بـه ، ولـذلك تخلف في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا، وقد روي فـي تخلفـه سبب آخر، وهو أنه كان

ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ، ويشهد لصحة هذا حـديث أبـي داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلـى النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وذكـرت أشياء منها أنه لا يصلي الصبح ،

فقال صفوان : يا رسول الله إني امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس. فقال له النبي عليـه السـلام : فـإذا اسـتيقظت فصـل ، وقـد ضـعف البزار حديث أبي داود هذا في مسنده . وقُتل صفوان بن المعطـل شـهيدا فـي خلافة معاوية، واندقت رجله يوم قُتل ، فطاعن بها، وهى منكسرة حتى مـات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمطاط . رضى الله عنه وعن صـحابة رسـول الله أجمعين .

فما كلَّمته ، ثم قرَّبَ البعيرَ، فقال : اركبى، واستأخر عنى. قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير، فانطلق سريعا، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقِدت حتى أصبحتُ ، ونزل الناس ، فلما أطمأنوا طلع الرجل يقود بي ، فقال أهلُ الإفك ما قالوا، فارتعج[55] العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

مرضها وإعراضه عليه السلام عنها: ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدةً، ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوَيَّ لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا، إلا أني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى، كنت إذا اشتكيت رحمنى، ولَطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك ؛ فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليَّ وعندى أمي تمرضنى.

قال ابن هشام : وهى أم رومان ، واسمها زَيْنب بنت عبد دُهمان ، أحد بني فراس بن غَنم بن مالك بن كنانة - قال : كيف تيكم ، لا يزيد على ذلك .

انتقالها إلى بيت أبيها لتمريضها: قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجَدْتُ في نفسي ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيتُ ما رأيتُ من جفائه لى : لو أذنت لى، فانتقلت إلى أمي ، فمرَّضتنى؟ قال : لا عليكِ . قالت : فانتقلت إلى أمي ، ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نقهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، وكنا قوماً عرباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُنُف التي تتخذها الأعاجم ، نَعافُها ونكرهها، إنما كنا

[55] ارتعج : اضطرب .

نذهب في فُسَحِ المدينة، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن . فخرجتَ ليلة لبعض حاجتي ومعى أم مِسْطَح بنت أبي رُهْم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب ابن تَيْم ، خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

علمها بما قيل فيها : قالت : فوالله إنها لتمشى معي إذ عثرت في مِرْطِها[56] ؛ فقالت : تَعِسَ مِسْطَح ومسطح لقب واسمه عَوْف ، قالت : قلت : بئس لعَمْر الله ما قلتِ لرجلٍ من المهاجرين قد شهد بدراً، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنتَ أبي بكر؟ قالت : قلت : وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوقد كان هذا؟ قالت : نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتى، ورجعتَ ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سَيَصْدَعُ كبدى، قالت : وقلت لأمى: يغفر الله لك ، تحدث الناسُ بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئا قالت : أي بُنَية، خفِّض عليك الشأنَ ، فوالله لقَلَّما كانت امرأةٌ حسناء، عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا كثَّرْنَ وكَثَّر الناس عليها.

خطبته صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن : قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يُؤذونني في أهلى، ويقولون عليهم غيرَ الحقِّ ، والله ما علمتُ منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً، وما يدخل بيتا من بيوتي إلا وهو معى.

---

[56] مرطها : كساؤها .

من أشاع حديث الإفك : قالت : وكان كُبْر ذلك[57] عند عبد الله ابن أبى ابن سَلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مِسْطح ، وحَمْنة بنت جَحْش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تكن من نسائه امرأة تُناصيني[58] في المنزلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً وأما حَمْنة بنت جحش، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تُضادُّنى لأختها، فشَقِيَتْ بذلك .

ما اقترحه المسلمون بعد خطبته صلى الله عليه وسلم : فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة، قال أسَيد بن حُضَيْر: يا رسول الله ، إن يكونوا

من الأوس نَكفِكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمُرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تُضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سَعْد بن عُبادة، وكان قبل ذلك يُرَى رجلاً صالحاً فقال . كذبت لعَمْر الله ، لا نضرب أعناقَهم ، أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلا أنك قد عَرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا، فقال أسَيد: كذبت لعَمر الله ، ولكنك منافق تجادل من المنافقين ، قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شَرا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل علىَّ .

الرسول يستشير عليا وأسامة : قالت : فدعا علىَّ بنَ أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامةَ بن زيد، فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى علىَّ خيراً، وقاله ؛ ثم قال : يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا،

---

[57] كبر ذلك : إثمه .

[58] في الأصل (تناصبني) ولكن قال السهيلي في الروض الأنف أن الحديث في تناصيني من المناصاة، أي المساواة. انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج 4 ص 21 .

وهذا الكذبُ والباطلُ . وأما على فإنه قال : يا رسول الله إن النساءَ لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف وسَلْ الجاريةَ، فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها[59] ؛ قالت : فقام إليها علي بن
أبي طالب ، فضربها ضرباً شديداً، ويقول : اصدقي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فتقول والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً، إلا أني كنت أعجن عجينى، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتي الشاةُ فتأكله .

حزن عائشة ونزول القرآن ببراءتها: قالت : ثم دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندي أبوايَ ، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي ، وهي
تبكى معي ، فجلس ، فحَمِد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشةُ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقي الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله ، فإن الله يقبل التوبةَ عن عباده ؛ فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك ، فقلص دمعى حتى ما أحسُّ منه شيئاً، وانتظرت أبويَّ أن يُجيبا عني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلما قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر في نفسي ، وأصغر شأنا من أن يُنزل الله في قرآناً يُقرأ به في المساجد، ويُصَلّى به ، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في نومه شيئاً يكذِّب به الله عني : لما يعلم من براءتى، أو يُخبَر خبراً، فأما قرآن ينزل في، فوالله لنفسي كانت أحقرَ عندي من ذلك .

---

[59] بريرة : هي مولاة عائشة رضي الله عنها التي اشترتها من بني كاهل فأعتقتها، وخُيرت في زوجها وكان عبداً لبنى جحش . هذه رواية أهل المدينة، وفي رواية أهل العراق
أنه كان حراً، وهي رواية الأسود بن يزيد عن عائشة، والأولى رواية عروة والقاسم ابن محمد عن عائشة، وكذلك يقولون بتخيير الأمة إذا عتقت ، وإن كان بعلها حراً،
وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم ، فلا يرون تخييرها، إلا إذا كان زوجها عبداً، وعاشت بريرة حتى روى عنها الحديث بعض التابعين . انظر لابن رشد الحفيد (بداية المجتهد) بتحقيقنا ط دار الجيل - بيروت .

قالت : فلما لم أر أبويَّ يتكلمان ، قالت : قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت : فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه ، قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على أل أبي بكر في تلك الأيام ؛ قالت : فلما أن استعجما علي ، استعبرت فبكيت ؛ ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرتَ أبدا والله إني لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس ، والله يعلم أني منه بريئة، لأقولنَّ ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني .

قالت : ثم التمست اسمَ يعقوب فما أذكره ؛ فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف . { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: 18]قالت : فوالله ما بَرح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسَه حتي تغشَّاه من الله ما كان يتغشاه ؛ فسُجِّي بثوبه ووُضعت له وسادة من أدم تحت رأسه ؛ فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ؛ فوالله ما فزعت ولا باليت ، قد عرفت أني بريئة، وأن الله عز وجل غير ظالمي ، وأما أبواي، فوالذى نفس عائشة بيده ، ما سُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننتُ لتخرجنَّ أنفسُهما، فَرَقاً من أن يأتيَ من الله تحقيق ما قال الناس .

قالت : ثم سُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجلس، وإنه ليتحدر منه مثلُ الجُمَان[60] في يوم شات ، فجعل يمسح العرقَ عن جبينه0 ، ويقول : أبشري يا عائشة؟ فقد أنزل الله براءتَك ، قالت قلت : بحمد الله .

ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمِسْطَح بن أثاثة، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضُربوا حدَّهم .

---

[60] الجمان : اللؤلؤ.